تفريغ محاضرة

لماذا لازلت بعيدا ؟

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٢ / ٣ / ١٤٤٢ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جميع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً الى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

لماذا لازلت بعيداً؟

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدهِ الله فلا مُضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله، أما بعد..

ينشغل الكثيرون بالأسئلة الوجودية ونرى تساؤلات كثيرة خصوصًا من قِبل الشباب والشابات فيسألون ما هي الجدوى من الحياة؟ لماذا الشر موجود؟ لماذا الظلم موجود؟ لماذا القتل موجود؟ ما هي نهاية هذه الدنيا؟ وهل الله عز وجل يشاهد هذا كله؟!! وما الهدف من خلق الإنسان؟ ومن الخير والشر؟ وكيف تكون بالنهاية؟

عندما يدخل الانسان في هذه الأسئلة يشعر كأنه دخل في دوامة من الشكوى والحيرة لا يعرف لها رأساً ولا نهاية وتكون هذه الأسئلة يولد بعضها بعضًا فكل سؤال يوردك على سؤال آخر، وفي الغرب يُقدِم البعض على الانتحار لعجزهم عن إيجاد أجوبة لهذه التساؤلات

فهم لا يعرفون الهدف من الحياة أو لماذا خُلِق الإنسان فيُقدِمون على الانتحار حين تواجههم أي مشكلة كأن يُطرد أحدهم من العمل أو أن يُطرد من منزله بسبب مشاكل مالية أو أن تهجره زوجته، فحين تُظلِم عليه الحياة من أكثر من جهة يشعر أن لا قيمة للحياة ولا قيمة للعيش فيها وأنَّ الانتحار هو الحل الأمثل والأسهل للتخلص من جميع المشاكل، فهو لا يعلم أن للحياة وراءه حياة وخطوته في الانتحار لها ثمن وسيجازى عليها،

وهكذا فالإنسان حين لا يعلم لهذه الأسئلة أجوبة ولا يعرف ما الهدف من حياته ولا كيف ستكون النهاية وماذا ينتظرنا في العالم الآخر يشعر أن الحياة صعبة وضيقة عليه كأنه يتنفس من خرمِ إبره.

وحدهُ المسلم الذي يملك إجابات لهذه الأسئلة ووحدهُ المسلم الذي يعرف ماذا سيقول له ملك الموت في اللحظة التي ستخرج فيها روحه،

ولدينا حديث طويل قالهُ البراء بن عازب عن النبي عليه الصلاة والسلام بالتفصيل ماذا سيُفعل بالمؤمن أو بالفاجر من اللحظة التي تخرج فيها روحه إلى اللحظة التي يرجع فيها إلى قبره، هذا الحديث صفحتين تقريباً أو صفحة ونصف يحدثنا بالتفصيل عن أول الدقائق بعد الموت وماذا ستفعل بك الملائكة وأين ستذهب روحك، ونعرف ماذا يحدث للمؤمن في قبره كيف سينام في قبروِ نومةَ عروس أو كيف سيُعذب فيه،

ماذا سيحصل لِمَن يؤخر الصلاة وماذا سيحصل لِمَن يأكل الربا، وماذا سيحصل لِمَن يحفظ القرآن ثم ينساه أو يترك العمل به، ماذا سيحصل للزناة، ماذا سيحصل لِمَن يغتاب الناس ويظلمهم، كل هؤلاء عندنا بالتفصيل ماذا يحصل لهم ثم لدينا أيضاً تفصيل كامل ماذا سيحصل من اللحظة التي يُنفخ فيها الصور ويوم القيامة إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وقد تطرقنا في حديثنا الدرس الماضي عن أهوال يوم القيامة وعن لمحات بسيطة فقط مما سيحصل في الدار الآخرة .

إذن نحن الذين نملك إجابات لهذه الأسئلة وتصوّر كامل عما سيحدث في المرحلة القادمة، فكيف يجب أن يكون استعدادنا؟

فهو قادم قادم وكل ما هو آتٍ فهو آتٍ لا محالة، ونحن قد نعيش في الحياة مسرورين نذهب للعمل ونقضي الوقت مع عائلتنا وتمضي حياتنا بأحداثها المحزنة والمفرحة ولكننا نعلم أننا نمشي مثل العجلة التي تأخذنا للخط الأخير في الحياة،

لذلك أقول دائمًا أن حياتنا بين قوسين، القوس الذي وُلدنا فيه والقوس الذي سنموت فيه فنحن نمشي من القوس الذي وُلِدنا فيه حتى نصل إلى القوس الأخير في حياتنا.

رحمة الله – عز وجل -:

وقبل أن ندخل في التفاصيل، دعونا نتذكر رحمة الله عز وجل التي لا حدود لها وأن الله عز وجل أمسك عنده 99 رحمة وأنزل إلى الأرض رحمة واحدة فقط

هذهِ الرحمة التي يتراحم بها الناس أجمعهم، فكل القصص التي نسمعها عن تضحية الأمهات وحتى البهائم والحيوانات كيف ترحم أطفالها وصغارها والأسماك في عالمها فرحمة كُل الكائنات الحية هي فقط رحمة واحدة من رحمات الله عز وجل التي أنزلها في الدنيا وأمسك تسعاً وتسعين رحمة لعباده يوم القيامة،

ونحن نقرأ في كتاب الله عز وجل قوله :**{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** (الزمر:٥٣).

فمهما تراكمت الذنوب وأسرف الإنسان على نفسه فالله – عز وجل - يغفر جميع تلك الذنوب،

ونحن نعرف أيضاً **في الحديث القدسي» :يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً(1) «،**

فأيُّ رحمةٍ هذه؟ يُقابل الله – عز وجل - بقراب الأرض ذنوبًا، كمية هائلة من المعاصي، وما إن يستغفر حتى يُقابله الله - عز وجل - بالمغفرة!

ونعرف أيضاً **في حديث النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ(2)«،**

يعني أن الظهر تكفّر ما بينها وبين الفجر والعصر تكفر ما بينها وبين الظهر والمغرب تكفر ما بينها وبين العصر، وهكذا يكون المسلم طوال الوقت في مرحلة تكفير، كذلك في أحاديث أخرى " :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ(3)"«، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ (4)"«، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ(5)"«،

والحسنة يضاعفها الله – عز وجل - بعشر أمثالها والسيئة لا تُكتب إلا واحدة.

<u>نعلم هذا كُله ثم يكون أُناس يدخلون جهنم؟؟!!</u>

1() أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح.

2) أخرجه مسلم، صحيح.

3() أخرجه مسلم، صحيح.

4() أخرجه مسلم، صحيح.

5() أخرجه البخاري، صحيح.

أُناس من المسلمين والموحدين ويدخلون فوق ذلك كله في جهنم ويغلب الواحد فيهم العشرة، الحسنة تضاعف بعشرة أمثالها والسيئة لا تجزى إلا مثلها وهذا من كرم الله – عز وجل - أن السيئة لا تضاعف وأي نوع من أنواع البر والخيرات يضاعفها الله - عز وجل - عشرة أضعاف أو أكثر إذا شاء، فالله – عز وجل – ممكن أن يضاعفها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء، ومن الناس من يغلب الواحد العشرة يعني هؤلاء أسرفوا على أنفسهم بالذنوب في خلال 24 ساعة كان يتلطخ من ذنب إلى ذنب وحسناته كانت قليلة مغمورة في بحر السيئات إلى درجة أنه حينما مات وحينما حوسب غلب الواحد الذي كان لا يتضاعف العشرة التي كانت تتضاعف.

فلماذا يدخل الناس النار؟ ولماذا لا زلت أنت بعيداً!!

وهذا هو السؤال المهم الذي نحاول نحن نطرقه اليوم، لماذا لا زالت قلوبنا بعيدة؟
لماذا نتأثر بهذا الكلام ثم ننساه ونعود لحياتنا كما كنا؟ لماذا يرضى الإنسان أن يدخل النار أو أن يُعذب أو أن يُختم له بخاتمة سيئة؟
لماذا يرضى على نفسه أن يُختم له بمعصية يحبها بعد أن عرف القاعدة " من عاش على شيء مات عليه " " ومن أحب شيئاً وأكثر منه عُذّب به ولابد " ونحن نعرف أن هذهِ قاعدة ربّانية؟

دعونا نتأمل العوامل الخمسة التي تجعل القلوب بعيدة عن الله - عز وجل - وتجعلها ترضى بالظلام فلا تذوق فُسحة النور وسرور الإيمان:

أولًا: الأمل

وهذا ما **قالهُ الله - عز وجل-: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}** (الحجر:٣)، فجميعنا نملك اليقين بأن يوم القيامة آتٍ وأننا سنحاسب ولكن هذا اليقين يقل ويكثر بدرجة تصوره، فقد لا يكون هذا اليقين حاضر في حياتنا، فما الذي يُنقصنا؟ وهذا القادم سيأتي في أي لحظة فماذا يلعب معنا الشيطان؟ يلعب معنا بلعبة الأمل

وأن لا زال هناك متسع من الوقت، فيغرينا بأن نؤجل التوبة والأعمال الصالحة وأن الحياة طويلة، فيشعر الإنسان بأنه يستطيع أن يتوب ويصلح من نفسه ويصلح من صلاته ويترك الحرام ولكن ليس الآن، فيؤجل كل هذا على أمل أنه سيعيش طويلًا، وكلما أراد الإنسان أن يخطو خطوة ردده الشيطان وأغواه بالتأجيل كأن يقول استمتع هذا الصيف وابدأ بعده، أو هذه فترة مرح ولهو فاستمتع بها ثم تُب إلى الله،

وأعرف إحداهن عندما حدثتها عن التوبة من موضوع معين قالت لي وهي تبكي أنها قد اتخذت هذا القرار قبل ٢١ سنة ولكنها لا تملك العزم والإرادة على ذلك حتى الآن، وقد تكون تدعي الله - عز وجل - طوال تلك السنوات ألا تموت قبل أن تتوب فهي على يقين بأن هذه معصية يجب أن تتركها، ومهما كانت الظروف وصعُب عليها ترك المعصية على الإنسان ألا يستسلم فلا شيء مستحيل ومهما كانت البيئة المحيطة بنا لا تعيننا على ذلك فلننظر للمسلمين الجدد والصعوبات التي يواجهونها فهم لا يتعذرون ببيئتهم ولا يستخدمونها كحجة.

ولذلك قمة الألم أن يكون الإنسان غافلًا لا يعبأ بالعمل ولا يشعر العاصي بالخوف من معصيته، فيعصي الإنسان ربه دون خوف وهو ويقول إن شاء الله سأتوب لاحقًا، فيعصي مرةً تليها الأخرى فلا يرتجف قلبه من خشية الله – عز وجل -، فتصبح المعاصي أمور معتادة،
ولكن ما الذي أصبح أمرًا معتادًا؟ هل الله عز وجل هو الهين؟! أهون من الخلق الكثير الذين نعيش معهم؟! أم أن الإيمان الذي في قلوبنا أصبح ضئيلًا؟! ما الذي حصل؟ ولذلك قمة المأساة ألا يكون العاصي خائفاً.

ولذلك **قال الله عز وجل في هذهِ الآية: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}** (الحجر:٣)،
وهنا تهديد لمن تقتصر حياته على الأكل والشرب واللهو، والله - عز وجل - لم يذكُر العقاب واكتفى بـ "سوف يعلمون" وهذا يدل على عظم الأمر وشدة التهديد، وهذا هو العامل الأول الذي يجعل قلوبنا بعيدة عن الله – عز وجل – الأمل. لا تنقصنا المعرفة لكن ينقصنا أخذ القرار.

ثانيًا: التهاون واستسهال المعاصي

كثير من الأمور أصبحت عادية لأن كثيرًا من الناس يقومون بها، وهكذا استسهلنا الحرام واستسهلنا وجوده في حياتنا وقد يقبل البعض به، وهكذا عندما يتهاون الإنسان بالمعاصي يصبح إنسان تهاوني وينجرف للمعاصي شيئًا فشيئًا لأنه تهاون بها،
وفي نفس الوقت يستثقل الطاعات وتصبح أصعب عليه، فترى صلاة الفجر تفوته وأحيانًا يؤخر صلاة الظهر وإذا بها تفوته ويصليها مع العصر، وإن كان مداومًا على قيام الليل أو صيام التطوع يجدها أصبحت ثقيلة عليه، وكل هذا بسبب تهاونه، فعندما تهاون بالحرام دفع ثمنه من أعماله الصالحة، ولذلك هذا التهاون هو الذي يجعل الإنسان يتهاون بالذنب ويعيش معه بحياته اليومية و يستصغره ويشعر أن لديه أشياء كبيرة أخرى ولن تقف الدنيا على هذا.

وجزء من هذا التهاون شعور الإنسان بأن الله لم يعاقبه رغم تهاونه، وشعوره بالسعادة، فتراه يقول: أنا الحمد لله سعيد ولدي وظيفة وتأتيني العروض والدنيا انفتحت علي وهذا يعني أن الله - عز وجل - راضٍ عني،

وهكذا يشعر أن الدنيا انفتحت عليه بسبب الذنب الذي فعله وينسى قول الله عز وجل : **{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ}** (الأنعام:٤٤)،

وترى بعض الناس يقولون: أين الذين كانوا يخوفونا إذا أذنبنا بأنه سوف تأتينا عقوبة من السماء، انظروا كيف أصبح حالنا والخير يأتينا، وعندما انسلخوا من دينهم ونسوا مبادئهم، فتح الله عليهم أبواب كل شيء، كل شيء ممكن نتخيله من خيرات الدنيا فُتحت على هؤلاء، فإذا فرحوا وأصبحوا في قمة النشوة أن الله يحبهم وينعم عليهم ويعطيهم، أخذهم بغتة، كلمتين فقط، فرعون سقط في قمة مجده، قارون سقط وهو يتبختر على الأرض انخسفت فيه سبعة أراضين من تحته فهو يتجلجل بها إلى يوم القيامة، وكل الأباطرة والجبابرة ما أُخذوا في لحظة ضعف أو انكسار بل أُخذوا وهم في قمة عرشهم وهذا درس لهم وللأمة من بعدهم ألا يغتر طاغية ولا جبّار ولا غني يبطر بماله ولا مليونير ولا يشعر الإنسان بالقوة، كل هذا لأنهم تهاونوا في البداية، كالتي تركت الحجاب وقالت أن الدنيا انفتحت لها منذ أن تركته وأتتها عروض زواج وعروض وظيفية، وهذا ابتلاء على ابتلاء،

كما قال كعب بن مالك عندما جاءته الورقة فقال: وهذا أيضا من البلاء، فالفتن كثيرة والله - عز وجل - يختبر الإنسان في كل مرحلة من حياته فيرى من الصادق فينا ومن الكاذب.

ولذلك مهم جدًا أن نعرف من أين نحن نبتعد، وأن نسأل أنفسنا هل الأمل يُبعدني؟ أم أنا بالفعل من الناس الذين يتهاونون بالذنوب والخطايا؟ ونعلم يقينًا أننا سَنُسأل عن كل تفصيلة من هذه التفاصيل ولنا لقاء مع الله - عز وجل -، وكل مرة تؤجل عمل صالح وتفعل شيء من المنكرات يجب عليك أن تُعِد لهذا السؤال جوابًا حينما يسألك الله - عز وجل - عن تأجيلك،

ابن القيم قال: ويجب على التائب أن يتوب من تأخير التوبة، فهذه التي أجّلت قرارها حتى انقضت ٢١ سنة، عليها أن تتوب عن ذنبها وتتوب عن تأخير التوبة، فكيف هان الله – عز وجل – عليها ٢١ سنة؟! ما الشيء الذي كان في حياتها أغلى من الله – عز وجل -؟! أسأل الله – عز وجل - في هذه الساعة أن يرزقها ما تحب وما يرضاه وأن يمن عليها بهدايته.

إذن فيجب أن نعد لهذا السؤال جوابًا، في الحديث القدسي " :**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي[6]"** ،

وهذا يعني أن الله سيسألنا عن التفاصيل اليومية مثل مكالمة أتتك واستثقلت الرد عليها، لكن هذه المكالمة قد يكون فيها سؤال وجواب سيسألنا الله عن كل شيء يوم القيامة، يمرض إنسان فلا نعوده أو يطلب منا إنسان حاجة فلا نفعلها له؛ استطعمتك فلم تطعمني استسقيتك فلم تسقني، الله – عز وجل - سيحاسبنا على هؤلاء، حتى على كأس الماء، الحساب دقيق جدًا ولذلك لقمان يقول لابنه: **{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}** (لقمان:١٦)،

[6]() أخرجه مسلم، صحيح.

وهنا نلاحظ الكلمة، يأتي بها الله، يأتي بها ربي حتى لو كانت تحت صخرة حتى لو كانت صخرة كبيرة في بر في غابة في ريف فرنسي في أدغال، أحيانًا يلهى الإنسان ويعتقد أنه لوحده لم يره أحد ولم يعلم عنه أي إنسان، ولكن يأتي بها الله حاضرة يوم القيامة ويسأله عنها.

إذا كنا نعرف أننا سنُسأل هذا السؤال، فيكيف يكون استعدادنا له؟

في خلال الفترة الماضية في الكلية جاءتنا زيارة من الهيئة الوطنية في الاعتماد الأكاديمي بهدف أن نحصل منهم على شهادة اعتماد أكاديمي، ولأجل هذه المقابلة فقط بدأنا بالاستعداد منذ ما يقارب سنتين أو أكثر، وهذا الحال في كثير من المؤسسات، سنوات من الاستعداد لأجل مقابلة واحدة نُسأل فيها عن بعض الملفات والوثائق، وعندما دخلنا في جلسة المقابلة الأسبوع الماضي، كُنّا مجموعة من أعضاء هيئة التدريس ولنا خبرة طويلة في المجال فالبعض لهم أكثر من أربعين سنة في هذا العمل، ولم يكُن للجلسة أي تأثير سلبي علينا فليست هناك عقوبة إن لم نحصل على الاعتماد ونستطيع بكل بساطة أن نعيد التقديم في حال لم نحصل عليه،

وبالرغم من هذا كان البعض يشعرون بتوتر وخوف كبير والرجفة بادية في أصواتهم ولم يستطيعوا الإجابة على الأسئلة، وإحداهن كانت تقول أنها خافت خوفًا لم تشعر به حتى في مناقشة الدكتوراة، وأخرى تقول أن ركبتيها كانتا ترجفان من تحت الطاولة، مجرد الشعور أنك تقف وأمامك أربعة يسألونك مخيف، هذا والأسئلة فقط عن تسجيل أوراق وعن طريقة آليات معينة فلم تكُن الأسئلة عن عثرات أو عن الليالي الخالية ولا عن المواقف والحياة الشخصية،

فكيف عندما نقف عند الله - عز وجل - ونحن نرى النار تسعر أمامنا، ونحن نرى الناس من حولنا بعضهم أخذوا بالسلاسل إلى النار وبعضهم إلى الجنة، وجاء الدور عليك ونودي عليك باسمك والآن تدخل للحساب عند الله فيقررك الله بحياتك الشخصية ولياليك ونهارك عثراتك وذنوبك وخطاياك وخلواتك التي لم يرها أحد وكنت تظن ألا أحد يراك وأنت تتصفح في هاتفك الجوال ولا أحد يعلم ماذا رأيت وماذا فعلت في سفرتك،

هذا هو الموقف العظيم حين تلقى الله - عز وجل - لِتُحاسب حسابًا نهائيًا لا فرصة أخرى بعده ولا حياة ثانية تعود لِتتوب فيها؛ هي إما جنّة وإما نار.

ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»** ([7])**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"**([8])

سيأتي يوم تبحث فيه عن يمينك ويسارك عن الذين تحبهم ولكن لن يدافع عنك أحد ولن يُجيب عنك أحد ولن يُبرر لك أحد بأنه شجّعك،

ولذلك نحن نحتاج إلى أن نستعد لهذا اليوم والاستعداد يكون بأخذ قرار حقيقي لا تردد فيه وألا نترك قراراتنا أملًا وتهاونًا؛

وألا نتهاون بالصغائر كأن نقول إننا تركنا الذنوب الكبيرة من زنا وقتل وسحر وأن ما دونها صغائر هينة، فمن الذي قال إنها هيّنة؟ من الذي قال إن ذنوبنا اليومية بسيطة عند الله - عز وجل -؟ والشاهد الغلام الذي كان مع النبي -عليه الصلاة والسلام - في فتح خيبر يخدم النبي - عليه الصلاة والسلام - والغلام صغير ولكنه بالغ يبلغ عمره 15 أو 16 سنة تقريبًا، فقد يكون في عرفنا نحن صغيرًا ولكنه عند الله مكلّف ويملك قراره وهو مؤاخذ لأنه يعرف أبعاد تصرفه، فمن الخطأ أن نترك الصغار يذنبون من باب الرحمة لأنهم صغار!

[7]() أخرجه البخاري، صحيح.

[8]() أخرجه البخاري، صحيح.

الله - عز وجل - لا يكلف إنسان فوق وسعه أو فوق طاقته، وهذا الغلام كان مع النبي - عليه الصلاة والسلام – يخدمه، فلما فتحوا خيبر ووزعت الغنائم بين كل الناس وهو كان من ضمن الجيش المسلم، فإذا بيهودي في حصن خيبر يرمي بسهم فجاء في الغلام فمات في لحظته، **فصاح الصحابة: طوبى له شهيد**

وكانوا ينظرون أن الشهادة هذه هي أعلى مرتبة وكانوا يتقاتلون عليها بالدنيا فيرمون بأنفسهم في المعارك فأن تموت شهيد هذا أعظم شيء يغفر لك مع أول قطرة في دمك، **عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**([9])، دخل النار في قطعة قماش لا أكثر ولا أقل، قد يكون أخذها متهاونًا بها أنها شيء صغير لا تساوي شيئًا، فلما سمع الصحابة هذا الكلام جاء رجل واحد من الصحابة ومعه شراك نعل أي قطعة الجلد التي تمسك الأصبع من الأمام وليست النعال كلها بل فقط قطعة الجلد هذه، **فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ»([10])** يعني لو أنك لم تحضرها اشتعلت عليك نارًا.

فبأي مقياس نحن نقيس ذنوبنا؟ وعلى أي أساس نقول إنها صغائر فكيف نُميّز هذه صغيرة أو كبيرة؟

---

[9]() أخرجه مسلم، صحيح.

[10]() أخرجه مسلم، صحيح.

وهذا صحابي من صحبة النبي عليه الصلاة والسلام ويموت شهيدًا ومع ذلك يشتعل عليه قبره نارًا في بردة غلها، فما لهذا الذنب حينما غلّ حينما أخذ شيء في غير وجه حقه وهذا من الذنوب المتعدية ونحن ذكرنا سابقًا أن الذنب الذي يقتصر على الإنسان يختلف عن الذنب المتعدي الذي يلحق فيه حقوق فهذا أشد وهنا حتى الشهيد لا يُغفر له، يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين فلابد أن يقضى عنه هذا الدين.

عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها -، أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ طَالِبًا» ([11])

ونلاحظ أنها سميت بمحقرات الأعمال؛ لأن العبد يفعلها وهو يحتقرها يعني لا يظن أنها تساوي شيئًا،

فما هي قطعة من جلد، وهذا الذنب الذي نستهين فيه ونظن أنه لا شيء سيأتي من يطالب به يوم القيامة، ولذلك في الأثر أيضًا حتى الكذيبة تكتب كذيبة، مثل عندما يسألك أحدهم: لمَ ترُد على مكالمتي؟ فتقول: والله ما كنت حول الجوال، ولكنك كنت حوله، فهذه كذيبة وتكتب لك كذيبة،

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ – رضي الله عنه -، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟» قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»([12])

---

[11]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

[12]() أخرجه أبو داود، وقال الألباني: حسن.

وكان طفلًا لا يريد الذهاب إليها وهي تدعوه وتقول له أنها ستعطيه شيئًا، فلما جاء الصغير فتحت يدها وإذا فيها تمرة أعطته إياها، وهذا درس لنا بأن كل كلمة نقولها محسوبة وكل هذه الوعود للأطفال التي قد نستهين بها هي مكتوبة، **«إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»**[13]،

فتخيلوا أسماءنا عند الله – عز وجل - أنت كاذب منافق فاسق، وأعوذ بالله من الفسق، فما هو الفسق؟ وما الفرق بين الفاسق والمذنب؟ المذنب أذنب الذنب ثم أسرع بالتوبة والاستغفار فتراه ينتصر على نفسه أحيانًا وينهزم أمام نفسه أحيانًا فهو مع نفسه في شغل شاغل تجره يسارًا ويجرها يمينًا وهكذا هو مع نفسه فهو مذنب نعم لكنه يقاوم،

أما الفاسق فيفعل الذنب مع سبق الإصرار والترصد، ويفعله جهرًا ويدعو إليه ويجادل عنه ويفتخر بذلك، بل ممكن أن تراه يرى غيره قلوبهم خائفة من الذنب فيهونه عليهم ويقول لهم إن هذا الأمر هين وفيه اختلاف أو شيء من هذا القبيل وهذا أمر خطير فهو يجعل الإنسان يستسهل المعصية ويذهب إحساسه بالذنب،

وحياتنا التي نعيشها الآن في الواقع تجعل من المعصية سهلة بسهولة الماء، التقنية جعلت الحرام يتحذف إلى يدك ويترمّى على رجلك، ابنك مراهق في غرفته لا تعرف ماذا يفعل وماذا يشاهد وفي أي برنامج هو مشترك، قيل لي عن رجل مشهور وهو في بادية عند غنمه ليس له من أمر الدنيا شيء،

طوال الوقت يحلب غنمه وعنده أعماله العادية، ولازال به أهل الشر يغوونه ويدفعون له حتى صار في برنامج مليء بالنساء، وهو كان في أمان الله جالس لوحده بعيدًا عن الفتن، فلو لم تكُن هذه التقنية موجودة لما تعرض لهذه الفتنة، لكن نحن في زمن معرضين للفتنة فهي تصل إليك حتى لو أغلقت عليك الباب بين أربعة جدران،

[13] () أخرجه مسلم، صحيح.

الشيطان لا يترك أحدًا والحرام صار سهلًا ، الوصول له في أي مكان، ولذلك للأسف نرى الناس تستغل نعم الله في معصية الله، فالله أنعم علينا بهذا التسهيل وبسهولة الحصول على المعلومة والذكر وسهولة أن تحلّق بإيمانك بتلاوة القرآن أو بدرس أنت تسمعه أو بحلقات عن الصلاة أو عن تفسير القرآن وأسباب النزول، ففي التقنية الخير الكثير ولكن فيها من الشر الكثير أيضًا والإنسان يختار لنفسه.

ثالثًا: العيوب الي خلقنا بها

تحدثنا عن الأمل وعن التهاون والأمر الثالث هو العيوب الي خلقنا بها، **قال الله عز وجل عن هذه العيوب: { ... وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }** (الأحزاب:٧٢) فليس فقط ظالم أو جهول، بل ظلوم وجهول، **وقال الله عز وجل :{خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ .....}** (الأنبياء:٣٧)،

فنحن دائمًا مستعجلين، وقال الله عز وجل: **{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ**

) {.....طه:١١٥)

ونحن ننسى كثيرًا، ففينا عجلة وفينا نسيان وفينا ظلم وفينا جهالة، هذه كلها وغيرها من العيوب التي قد تكون عيوب عامة للبشر وهناك عيوب خاصة لكل واحد منا نشأنا وهذه الصفات فينا، هذه الابتلاءات بهذه العيوب توجب علينا أن نزكيها ونصلحها لا أن نتعايش معها، فعلى الإنسان ألا يحكم على نفسه بأنه إنسان سيء ويتقبل نفسها هكذا، بل يجتهد ليصلح من نفسه.

ولذلك حينما ذكر الله عز وجل نبيه - صلى الله عليه وسلّم -: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (الجمعة:٢)،

ألحقها بالسبب مباشرة، ليتلوا عليهم الآيات وليزكيهم،

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**([14])»،

فهذه العيوب لابد لنا أن نصلحها فلا يبعدنا الأمل ولا يبعدنا التهاون ولا يبعدنا الاستسلام،

وكذلك لدينا عيوب من النفس فهذا متكبر وهذا مغرور وهذا حاقد وحاسد وهذه كلها لابد لنا أن نصلحها لأن القلب إذا لم يصلح من الداخل لن يصلُح الجسد ولن يصلُح العمل،

قالها النبي عليه الصلاة والسلام مرارًا وتكرارًا: (**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** ([15]).)

فليست مشكلة أن يكون فيك عيب، المشكلة هي أن تستسلم لهذا العيب ولا تصلحه

ولذلك هذا الإصلاح يبقى معنا العمر كله، فلا تظن أنه سيذهب في مرة أو سنستطيع حلّه في سنة أو سنتين،

ولذلك إذا كنت كسولًا أو كنت تحب الأكل وتكثر النوم أو أنانيًا لا تحب العمل مع الناس، فكل هذه عيوب لا بد من إصلاحها، لأنك إذا لم تُصلحها قد تجرّك إلى حالٍ أسوأ فالطباع سرّاقة، فتجد نفسك تتغير إلى شخص آخر بعيوب جديدة لم تكُن فيك، وقد يكون هذا بسبب الصحبة الذين تجالسهم فيسحبونك إلى دائرة اهتماماتهم،

فإذا خالط الإنسان منافقًا يبطن الكفر ويظهر الإسلام، فطوال الوقت فلتات لسانه تدس السم في العسل، وكلما قضى معه وقت أكثر تأثر به أكثر، فإذا أعجبك إنسان فاسق لا لشيء إلا لأنك أحببت شكله أو طريقة لبسه أو حديثه، فخالطته وأصبحت تجالسه بكثرة، أو تتابعه عن بعد من خلال وسائل التواصل مثلًا فتشاهده ليلًا ونهارًا، فماذا أبقيت لدينك وأنت تشاهد الفسق؟

ماذا يبقى لك من إيمانك؟

()[14]أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح.

()[15]أخرجه البخاري، صحيح.

الأشخاص الذين نخالطهم يشكلون دائرة اهتماماتنا ونظرتنا للحياة، وقد يظهرون بآراء غريبة تشتت من تفكيرك وتجعلك تدخل في تساؤلات وجدالات لم تكُن لتدخل فيها لولا أنك اتبعتهم، إحداهن عرّفت نفسها بتعريف في برنامج تويتر فكتبت في حسابها تعريف جميل: **"أنا أنقذت نفسًا من الموت"** للوهلة الأولى قد يبدو المعنى أنها أنقذت غريقًا أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن المعنى أعمق من ذلك بكثير، فهي تقول: **"أنا أنقذت نفسًا من الموت، أنقذت نفسي."**

طبعًا قد لا تكون الفكرة أنها أنقذت نفسها من الموت بالمعنى الظاهر للكلام، المعنى فيها أعمق من هذا، أنها كانت على شفا جرفٍ هارٍ كانت على وشك أن تسقط فأنقذت نفسها، وهذا المعنى يكرره القرآن علينا مرارًا، يقول الله - عز وجل-: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}** (التحريم:٦)، فالأمر بأن تستنقذ الناس والأهلين لا يأتي قبل أن تقي أنت نفسك، ويقول الله - عز وجل-: **{... وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ... }** (البقرة:١٩٥)، وأيضًا يقول الله - عز وجل-: **{ ... وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ}** (فاطر:١٨)،

إذًن كل خير أنت تفعله إنما تقدمه لنفسك لا تقدمه لأحد غيرك، ولذلك حينما تصلح عيوبك فإنما تصلحها لنفسك فأنت تنقذ نفسك ولا تسرق الطباع السيئة ممن تخالط.

رابعًا: التهاون في الأخلاق

وكما قال أحدهم: **الدين خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين**،

فبين الدين والأخلاق ارتباط وثيق جدًّا لا نستطيع أن نفصل هذا عن هذا، يعني لا يمكن لإنسان يعرف الله عز وجل ثم يكون خلقه سيئًا، متى ما كانت أخلاقك سيئة فأنت تكون نموذجًا سيئًا لهذا الدين لأن هناك ارتباط

كما قلنا أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: **«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**[16]**»**،

فالصحابة رضوان الله عليهم حينما بعث فهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - كانت لديهم أخلاق كان فيهم أصول الأخلاق موجودة كالكرم والشهامة والإيثار والتضحية كل الأخلاق كانت موجودة وكانت تعتبر شيئًا أساسيًا في الشخصية العربية، فجاء النبي - عليه الصلاة والسلام - فتمم عليها وجُعِلت هي من احتساب الدين أنك تحتسب أيضًا أخلاقك وتحتسب دماثة الخلق.

فأين نحن من الأخلاق الفاضلة هذه الأيام؟ وأين الإيثار والتضحية من أجل الآخرين؟ وأين الذين يكرسون أنفسهم لخدمة الناس؟

النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: **(ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة، شهرا،** [17]**) (....**

وثواب الاعتكاف ليوم واحد عظيم جدًا، فما بالك بالاعتكاف شهرًا وفي مسجد الرسول – عليه الصلاة والسلام - فكيف يكون الأجر؟ أن تمشي في حاجة أخيك خير لك من هذا كله،

---

(16)أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وقال الألباني: صحيح.

(17)أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، وقال الألباني: حسن لغيره.

وكذلك العفو عند المقدرة وعدم رد الإساءة بالإساءة وردها بالإحسان، أين من يدعو لهذه الأخلاق اليوم؟ الكثير يدعون للشدة ورد الإساءة بمثلها وأكثر وأن المسامحة تؤدي إلى تمادي الآخرين، وينشرون مقولات مثل **" كن ذئبًا وإلا أكلتك الذئاب"** وهكذا سنتحول فعلًا إلى مجتمع ذئاب كل واحد ينهش الآخر وكل واحد يدافع عن حقه،

وهذا سيحول مجتمعنا إلى مجتمع محموم وغير صحي لا يأمن الواحد فينا على نفسه أن يطعنه أحدهم في ظهره.

سعيد ابن المسيب رؤي بعد موته **فقيل له ما فعل الله بك؟ قال: دخلت الجنة فإذا منادٍ فوقي يقول: هل تذكر يومًا آثرت الله فيه على هواك؟ فقال: قلت: نعم إي والله، فأخذني النيثار من كل جانب،**

والنيثار هو الذي ينثر على العروس كنوع من الترحيب، هذه رؤية وليست شيئًا يؤخذ منه تشريع ولكن لاحظوا الفرحة في إيثار الله – عز وجل - على هوى النفس، في كتم الغيض في لحظة تستطيع فيها الرد وأن تأخذ حقك، فتؤثر ما عند الله على ما عند البشر، ولأنك تتاجر بحياتك مع الله – عز وجل - فأنت تلبس نظارة مختلفة عن الناس،

فالناس ينظرون للدنيا وأنت تنظر للآخرة، يا رب أنت ترى وأنت تعلم وتسمع، أنت تكفيني ولا يكفيني كل ما يقوله هؤلاء الناس، لذا من المهم أن نضغط أحيانًا على جروح أنفسنا ولو آلمتنا حتى نستخرج الفساد الذي فيها، ويجب علينا أن نعرف عيوبنا هل مشكلتنا هي التهاون؟ أم الأمل؟ أم هو عيب ذاتي في أنفسنا؟

تقول إحداهن أنها عندما كبرت أصبحت نقود، أي أنها تنتقد كل شيء، والجميل في الموضوع أنها لاحظت نفسها وانتبهت قبل أن تتبلور هذه الصفة فيها،

فالصفات تتغير مع الوقت ومن المهم أن ننتبه لأنفسنا، ونلاحظ أحيانًا البعض يقول لنا إننا تغيرنا أو إننا اكتسبنا صفة جديدة، وهذا الكلام مهم جدًا لأنه يساعدنا على ملاحظة صفاتنا ويجب أن نأخذه على محمل الجد ونراجع أنفسنا، ونحرص على أخلاقنا فلا نتهاون فيها ونعلم أن من زاد علينا في الخلق زاد علينا في الدين.

خامسًا: التهاون في أخذ العلم

ديننا لا يؤخذ بالحماسة، فلا يكفي أن تقول إن قلبك متحمس وتشعر بأنه مفتوح وتبدأ تقرأ أو تحفظ القرآن بحماسة ثم تنطفئ حماستك في اليوم التالي وتقف، فليست هذه هي الطريقة التي تبني بها شخصية مؤمنة من الداخل، لابد من العلم فكما من المهم أن يدخل الطفل الروضة ثم المدرسة ويتعلم الحروف والأرقام يجب علينا أن نتعلم هذا الدين، شتان بين من يقرأ القرآن قراءة عادية ومن يستشعر كلماته ويخشع فتدمع عيناه، دخولنا في حلقات التدبر وشرح المتشابهات ودراسة أسباب النزول وفهم القرآن يجعلنا نعيش القرآن بكل ذرة في جسمنا لأننا بالعلم نفتح أسراره ونعرف الأسباب فأحيانًا تكتب الكلمة بالفتحة وأحيانًا بالكسرة ليس لسبب إعرابي بل إعجازي فيكون لها نفس صوت الكلمة وفيها قرع أو تأنيب وهكذا نقرأ القرآن بنفسية أخرى بلذاذة وبحلاوة.

إذا كان فقط استقراء الأحاديث يعلّي فيك الإيمان، مجرد استقراء فقط أن تقرأ أحاديث النبي - عليه الصلاة والسلام - تزيد فيك الإيمان فكيف عندما تقرأها شرحًا؟
وكيف عندما تأخذها في حلقة وأنتم مجتمعون تتذاكرون الرسول – صلى الله عليه وسلم - وطوال الوقت تقولون صلى الله عليه وسلم، كيف يكون وقع هذا الدين عليك وكيف يكون انتماؤك له،

والأهم كيف تعيش معه في هذا العصر وتعرف أنه ليس دينًا مورثًا ولا ثقافة لا تصلح في هذا العصر، وأنه دين متجدد ويتجدد لأن الله - عز وجل - جعله هو خاتم الأديان والقرآن هو خاتم الكتب إلى قيام الساعة ولهذا وجدت فيه خاصية احتواء كل ما يمكن أن يجد في حياة الناس.

إذًن لا بد أن يكون للعلم في حياتك نصيب، وألا تترك لشخص واحد أن يكون مصدرك في الحياة، هذا الإنسان الذي قد يكون مصدرك في المعلومة قد يختفي لأي سبب كأن يموت أو يمرض أو يختفي لأي سبب من الأسباب، هل ينتهي بعده الحبل الذي بينك وبين الله – عز وجل -؟!

أين حبلك الخاص الذي بينك وبين الله – عز وجل-؟

قرآنك، كتابك، تعلمك في اليوم، كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – أهم شيء في حياتك فبهما تحيا وتعيش، فكيف لا تخصص لهما من يومك ساعة أو نصف ساعة؟! كأن تتابع حلقة لأسباب النزول أو عن الخشوع في الصلاة أو في الإعجاز أو في أي شيء ممكن أن يرقّيك إيمانيًا، سلسلة في شرح منظومة، قواعد فقهية، دروس في الفقه أو في التفسير أو في الحديث من قبل مصادر موثوقة، نصف ساعة في اليوم ليست كثيرة أبدًا وقد تأخذها في طريق أو في فترة انتظار أحدهم، ويجب ألا نتهاون في أخذ العلم.

هذه هي العناصر الخمسة وهي غيض من فيض لكن هذه التي تحدثنا عنها الليلة: الأمل، التهاون، العيوب التي نتسم بها، التهاون بالأخلاق، وقلة أخذنا للعلم.

ونختم هذا الدرس بخطوات نعرف بها ماذا نفعل لكيلا نؤخذ بالأمور الخمسة السابقة:

قلة العلم:

إذًن تعلّم، **قال الله عز وجل: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ...}** (محمد:١٩)، العلم هو الخطوة الأولى فالحماسة تذهب والعلم يبقى، فالفتوى لا تتغير فالحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، فإذا أخذت الدين بالعلم لن يهزّك كلام الناس ولن تتأثر بأفعالهم فعندما تأخذ دينك بالعلم والدليل لا يمكن أن يهزك شيء، والعلم هو الشيء الوحيد الذي أمر الله به نبيه – صلى الله عليه وسلم - بالاستزادة منه **فقال: {..... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}** (طه:١١٤)، فهذه من الأدعية التي يجب أن نتعلمها ونضمنها دعاءنا.

الوقاية خير من العلاج:

والمقصود هنا ألا تذنب ثم تفكر بالتوبة، اجتنب المشكلة من الأساس فلا تذنب أساسًا.

سُئل الإمام أحمد، أيهما أحب إليك الرجل الذي يذنب ثم يتوب أم الرجل الذي لا يذنب؟ وصياغة السؤال فيها استرقاق للإمام أحمد، فقال الإمام أحمد: لا أعدل بالسلامة شيء، السلامة لا يعدلها شيء، فمن الذي يضمن لك أنك إذا أذنبت ستتوب؟ قد يحلو لك الذنب وتعجز عن التوبة! قد تكون عقوبة الذنب هي أن تقع في ذنب آخر بعده! وكما نقول دائمًا بأن عقوبة المعصية المعصية بعدها وثواب الطاعة الطاعة بعدها.

اشغل نفسك بالحق تنشغل عن الباطل:

لا تجعل نفسك همل تعيش في فراغ، اكتب جدولك اليومي ووزع المهام على فترات، حدد ماذا ستفعل في الصباح والمساء، اكتب أفعال الخير التي تريد أن تفعلها في يومك، ولا تجعل يومك يضيع بحجة أنك لا تحب الكتابة فتسير بك الأيام يومًا بعد الآخر وتمضي السنوات دون أن تحقق شيئًا، ولا تعتمد على دوامك في العمل أنه يرتب جدولك اليومي فأنت تستطيع إضافة أعمال أكثر إن رتبت جدولك،

تقول لي إحدى الفتيات أنها تقسم طلب العلم على أيام الأسبوع، فمثلًا يوم الأثنين هو يوم مراجعة القرآن فتراجع فيه خمسة أو ستة أجزاء ويوم الجمعة هو يوم السيرة فتقرأ أي كتاب في السيرة حتى تنهيه وتبدأ بكتاب آخر له علاقة بالنبي - عليه الصلاة والسلام - لأن يوم الجمعة يسن فيه الإكثار من الصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام-، فكأنها جعلت يوم الجمعة يوم النبي - عليه الصلاة والسلام - تستزيد من معرفتها به، ويوم الإثنين يوم القرآن وهكذا في بقية أيام الأسبوع، وكما نرتب أعمالنا ممكن أن نرتب صدقاتنا وأفعال البر فلا يمر يوم دون أن نستزيد فيه.

اكتشف مرض الذوب مبكرًا:

انتبه لنفسك مبكرًا، كتلك التي تحدثنا عنها أنها انتبهت أنها بدأت تتحول إلى شخص نقود، انتبه أنت لنفسك واكتشف ذنوبك مبكرًا، بعض الذنوب لا تبدأ صريحة بل تبدأ بتهاون بشيء، تبدأ بشيء لم تكُن تفعله في يوم من الأيام ولا ترضى به ثم تبدأ بفعله، وهنا يجب أن تنتبه وتتراجع إلى الوراء، لأنك إن استمريت فستجد نفسك فجأةً لم يبقَ لك على الذنب الأكبر شيء، واعلم أن الله - عز وجل - حذّرنا من خطوات الشيطان التي تبدأ بصوت ضعيف يجري في مجرى الدم، مجرد خاطر يجعلك تفكّر ماذا لو فعلت هذا أو ذاك، ثم يبدأ بعدها يزين لك الذنب،

لذا احذر من خطوات الشيطان واكتشف ذنوبك مبكرًا، واكتشف عيوبك مبكرًا، واحذرها قبل أن تتسرطن لأنها إذا ما تسرطنت تكاثرت، فيجب علينا أن نقوي الخير على الشر ونقوي صوت الخير الموجود في داخلنا لكيلا يكون هو الصوت الأضعف، فكلما اكتشف الإنسان مرضه مبكرًا كلما استطاع معالجته بسهولة وسرعة.

أن تصبر على العلاج:

يقول أبو سفيان الثوري – رحمه الله - عالجت نفسي على الصلاة عشرين سنة واستمتعت بها عشرين سنة أخرى، فهو لم يجاهد نفسه ليوم أو يومين أو سنة أو سنتين بل عشرين سنة، وهذا جهاد مهم جدًا فمرة قد يهزمك شيطانك ومرة تهزمه، مرة تصلي وأنت متلذذ ومستشعر لمعاني الآيات ومرة تصلي على عجلة عسى الله أن يعفو عنا،

وهكذا حتى تصلح صلاتك وتصبح هي راحتك، والدواء يحتاج صبرًا فالعلاج الذي نأخذه ليوم أو يومين هو مسكن فقط لا يزيل المرض، ولكن العلاج الحقيقي يجب أن يؤخذ بطريقة معينة ولفترة طويلة كي يظهر مفعوله، ولكننا نتحمله لأجل الدنيا، والآخرة خيرٌ وأبقى فيجب ألا يكون الدين عندنا أضعف ولا أقل من الدنيا، وألا نهتم بصحتنا أكثر من ديننا، فإذا مرض أولادنا نكون حريصين على أخذهم للدواء لأجل صحتهم،

ولكن من يهتم بصحة القلب والخلايا من الداخل؟ يجب أن تكون لك رئتك الإيمانية تتنفس فيها الإيمان، وتعالج قلبك والذين من حولك أيضًا، فإذا كانت المنكرات والفسق المنتشر وتهاون الناس بالحرام يشعرك بالضيق،

فاعمل على إصلاح نفسك وأهلك، واجعل بيتك رئة إيمانية لمن حوله فيجدون فيك نموذجًا، وصلاح البيت لا يكون إلا بصلاح الأم والأب، ولذلك لا تسوف في علاج نفسك ولا تنتظر إلى أن ينتشر الداء وحاول ألا تكون بعيدًا ولا ترضى أن تكون بعيدًا عن الله عز وجل،

كما قال أحدهم: هب أنك لا تخاف الله عز وجل ويحك ألا تشتاق؟! يعني إن لم تخف الله – عز وجل - أفلا تشتاق إليه؟ أفلا يحن قلبك إلى القرب من الله - عز وجل – ألا تريد أن تعيش في كنفه وتشعر بلذاذة المناجاة بينك وبينه - عز وجل -؟ أن تذوق حلاوة السجود وأن تناجي الله - عز وجل - هذا الشعور الذي نقرأ ابن قيم وابن تيمية – رحمهم الله - يتحدثون عنه، ألا تشتاق لأن تشعر بحلاوة القرب من الله – عز وجل -؟ إذا أحببت شخصًا في الدنيا فقربك منه، ألا تشعر بأن الدنيا كلها انفتحت لك لأنه قرّبك وتشعر أن الحياة لها طعم لأن هذا الإنسان اقترب منك وفتح لك أبوابه؟ فكيف تكون العلاقة إذًا مع الله - عز وجل – إذا شعرت أنه يحبك ويقربك منه؟ وقد يبتليك بمرض لأنه يريد أن يصطفيك له، أفلا تصبر على العلاج؟ أفلا تشتاق إلى الله - عز وجل-؟

فلماذا لازلت بعيدًا؟

إذا لم تكُن راضيًا عن علاقتك مع الله – عز وجل – ولا تريد أن تموت وتلقاه على هذه الحال، فأجب على هذا السؤال، لماذا لا زلت بعيدًا؟

فتّش عن الجواب في قلبك، واخطو الخطوات التي ذكرناها لكي تصل يومًا وتشعر بلذة القرب من الله – عز وجل.-

وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يحبهم ويحبونه وأن يقربنا إليه وأن يصلحنا لنصلح أن نكون عبادًا له، هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدّة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخل بروح المحاضرة ومعانيها